الفصل الثمانون

المذاهب النصرانية

لقد أصيبت النصرانية بما أصيبت به أكثر الأديان من تشقق وتصدع وانفصام، فظهرت فيها شيع وفرق ، تخاصمت فيما بينها وتجادلت . وكان أكثر جدالها في موضوع طبيعة المسيح وعلاقة الأم بالابن ، وفي موضوع النفس ، وقد عقدت لذلك جملة مجامع كنسية للنظر في هذه الآراء والحكم على صحتها أو فسادها ، وفي أمر أصحابها ، اجتمع فيها مندوبون من مختلف الأماكن وبينهم بعض الأساقفة العرب . غير انها لم تتمكن من القضاء على النزعات المختلفة ، فظهرت فيها جملة مذاهب ، حرمت المجامع أصحابها ، وحكمت ببدعتهم وبخروجهم على التعاليم الصحيحة ، وطلبت من بعضهم الرجوع إلى الدين الصحيح ، غير ان منهم من أصر على رأيه ، وتحزب له ، وبشّر به ، فوجد أنصاراً وأعواناً انتموا اليه وتسمّوا به .

والواقع انه لم يكن من السهل على الداخلين في النصرانية فهم قضية معقدة كهذه القضية ، وهي قضية فلسفية جدلية أكثر منها عقيدة دينية . ولذلك كان من الطبيعي وقوع الاختلاف فيها ، وتشتت آراء النصرانية بالقياس اليها ، خاصة وهي حديثة عهد ، وأكثر الداخلين فيها هم ممن دخلوا حديثاً في هذا الدين ، وليس لهم الإدراك العميق والخيال الواسع لفهم موضوع كهذا الموضوع . ثم إن النصرانية ديانة عالمية ، لم توجه لأمة خاصة من الأمم ، وقد جاءت ككل الأديان بأحكام لا بد وان يختلف الناس في فهمها ، لاختلاف المدارك والثقافات ، وهذا

الاختلاف في الفهم ، يؤدي الى ظهور المذاهب والشيع،والى تناحر هذه المذاهب، وادعاء كل واحد منها انه وحده على الحق ، وان ما دونه على الباطل والهرطقة والكفر .

لقد فتح (بولس الرسول) وأتباع المسيح الآخرون ميداناً واسعاً من الجدل في موضوع المسيح : هل المسيح إنسان ، أو هو ربّ ، أو هو من خلق الرب؟ وهل هو والربّ سواء ، أو هو منفصل عن الربّ ؟ هذه الأسئلة وأمثالها مما يتصل بطبيعة المسيح شغلت رجال الكنيسة ، وكتّلتهم كتلاً : كل كتلة ترى أن رأيها في الطبيعة هو الرأي الصواب ، وأنه هو الدين الحق القويم ، وأن ما دونه ضلال وباطل . فظهرت المذاهب : شرقية وغربية ، وانقسمت الكنيسة على نفسها ، فظهرت من الكنيسة الواحدة كنائس . ولا تزال تنشق ، ويزيد عددها وتظهر أسماء جديدة لمذاهب لم تكن معروفة في النصرانية القديمة .

لقد كان الناصريون الأولون ، وهي التسمية القديمة التي عرف بها النصارى ، في فوضى فكرية . فلم تكن تعاليم المسيح مفهومة عندهم ولا مهضومة ، وكانت تفاسير تلاميذه غير منسقة ولا مركزة تركيزاً يكفي لتوجيه الناصريين وجهة معينة واحدة . ثم إن تعقب اليهود والرومان للنصارى وتنكيلهم بهم ، وخوف الناصري على حياته وعلى ماله إذا تظاهر بدينه : كل هذه كان لها أثر خطير في المجتمع النصراني الأول . ولولا جلد بعض التلاميذ وتفانيهم في الدعوة ، وتركيزهم لتعاليمها وتبويبها وصقلها ، لما كان للنصرانية ذكر باق حتى الآن .

وليس في استطاعة أحد الزعمُ بأن هذه النصرانية التي تركّزت وتثبتت على هذه الصورة التي نشهدها،هي النصرانية التي جاء بها المسيح وكان عليها الناصريون، أي أقدم أتباع عيسى . فالنصرانية هي سلسلة تطورات وأفكار وآراء وضعها البارزون من الآباء ، ثم إنها كأكثر الأديان تأثرت بمؤثرات عديدة لم يكن من الممكن على الداخلين فيها التخلص منها . فدخلت فيها وصارت جزءاً منها ، مع أن بعضها مناهض ومناقض لمبادىء هذا الدين .

وتولد عن هذا الجدل ظهور (الآريوسية) أتباع (آريوس) و (السبيلية) Sabellians وأتباع (الثالوث) Trinitarians ومذاهب أخرى نبعت من تلك البلبلة الفكرية التي أظهرها الاختلاف في طبيعة المسيح . ونظراً الى ما أحدثته هذه الآراء

اللاهوتية من انقسام وتفرق في صفوف النصارى ، وما تركته من أثر خطير في الأحوال الداخلية للانبراطورية . عـزم الانبراطور (قسطنطين) باني القسطنطنية على عقد مؤتمر للتوفيق بين هذه الآراء وتنسيقها ، فعقد مجمع (نيقية) Nicaea حضره (آريوس) للدفاع عن نفسه وحضره جمع من الأساقفة المخالفين له لمحاكمته ولاثبات هرطقته وخروجه على الايمان الصحيح. وكانت النتيجة الوحيدة لهذا المؤتمر وضع بيان دقيق عن الثالوث ، والحكم بفساد رأي آريوس وبخروجه على عقيـدة النصرانية الصحيحة ، ووضع تعريف للايمان الصحيح[1] .

وعقب هذا المجمع الذي انعقد في سنة (٣٢٥) للميلاد وحدد معنى النصرانية وأصولها ، عدة مجامع عقدت للنظر في أمثال هذه المشكلات الخطيرة التي جابهت الكنيسة ، عقد بعضها في القسطنطنية فعرفت بها ، وعقد بعض آخر في (أفسوس) (٤٣١ م) وفي (خلقدونيا) Chalcedon (٤٥١ م) ، ولكنها لم تستطع ان تعيد الوحدة الى الكنيسة ، فانقسمت الى عـــدة كنائس ، وحدث الانفصال الأكبر في سنة (١٠٥٤م) حيث تجزأت الكنيسة الكبرى للانبراطورية الى كنيستين: كنيسة غربية استعملت اللغة اللاتينية لغة رسمية لها ، وكنيسة أرثوذكسية هي الكنيسة الإغريقية الأصلية ، وذلك بسبب خلافات بسيطة ليس لهـــا أثر خطير في جوهر العقيدة . أما الشرق ، أي آسية وافريقية ، فقد سبق نصاراه نصارى الغرب في تحطيم وحدة الكنيسة ، فظهرت عندهم الكنيسة النسطورية والكنيسة اليعقوبية ، في زمان مبكر سبق انفصال الكنيسة اللاتينية عن الإغريقية بزمان طويل .

وقد وصلت الينا أسمـــاء من حضر بعض تلك المجامع الكنيسية ، واشترك في جدالها ومناقشاتها ووقع على قراراتها ومحاضرها ، وبينها أسماء أساقفة بشروا بـــين العرب ، وأساقفة يظهر أنهم كانوا من أصل عربـي بدليل أسمائهم العربية الخالصة أو المنقولة الى اليونانية والسريانية . وقد عرف بعضهم بأساقفة الخيام ، لمرافقتهم للأعراب ومعيشتهم بينهم في الخيام معيشة الأعراب[2] .

---

١ مجلة المشرق ، السنة التالتة والعشرون (١٩٢٥) ، العدد ٧ ، (٤٨١ وما بعدها) ، خلاصة تاريخ الكنيسة ، لـ « لومند » ، ترجمة الخوري يوسف السناني ، مطبعة الاباء المرسلين اليسوعيين ، بيروت ١٨٨١ ، في جزءين (١/١٧٤ وما بعدها) ، Ency. Religi. and Ethic, I, pp. 775, (Arianism)

٢ النصرانية (١/٣٣ وما بعدها) .

ومن أساقفة الأعراب أسقف عرف باسم (بطرس) ، وقد وقع على أعمال مجمع (أفسوس) بصفة كونه (أسقف محلة العرب) ، والأسقف (تاوتيموس أسقف العرب) الذي وقع على أعمال مجمع انطاكية الذي انعقد عام ٣٦٣ للميلاد[١].

وقد كان بين أساقفة القدس في نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس للميلاد ، أسقف من أصل عربي ، اسمه الياس (٤٩٤ – ٥١٣ م)[٢] .

فالأساقفة الذين كانوا يديرون أمور النصارى العرب ويبشرون بين القبائل الوثنية ، أسهموا في الجدل الديني الذي قام أكثره على بحث موضوع طبيعة المسيح واشتركوا فيه ، وبذلك نقلوا الى العرب هذه الأبحاث اللاهوتية التي شغلت بال العالم المتمدن منذ القرن الأول للميلاد فما بعده ، وكانت أهم مشكلات النصرانية يومئذ مشكلة شغلت بال المؤمنين ، ثم بال الحكومة البيزنطية بعد تنصرها وبال أتباعها المؤمنين ، وشغلت العالم الغربي حتى بعد عصر النهضة ، مشكلة أطاحت برؤوس الآلاف من الناس باسم الكفر والايمان ، البدعة والحق . وكان في جملة ما أسهم فيه رؤساء أديرة اقليم العربية وضع رسالة مضمونها دستور الايمان، كتبها أولئك الرؤساء ، ووجهوها الى يعقوب البرادعي ، ردّوا فيها على رأي يحيى النحوي في تثليث الجوهر الفرد ، وذلك بين السنتين ٥٧٠ و ٥٧٨ للميلاد . وقد وقعها ١٣٧ رئيساً لـ ١٣٧ ديراً في اقليم العربية الممتد من شرقي بلاد الشأم الى الفرات[٣] .

ومن المذاهب النصرانية التي تدخل في حدود موضوعنا : المذهب النسطوري والمذهب اليعقوبي ، وهما من المذاهب الشرقية ، أي من المذاهب النصرانية التي ظهرت وانتشرت في الشرق ، ووجدت لها مجالاً وانتشاراً في العراق وفي بلاد الشأم ومصر والحبشة وجزيرة العرب .

أما المذهب النسطوري ، فينسب الى البطريق (نسطوريوس) (نسطور) Nestorius من (جرمانيقية) Germanicia ، وهي (مرعش) المتوفى سنة (٤٥٠ م) ، وله رأي ومقالة في طبيعة المسيح . فجعل للمسيح طبيعتين

---

١ المسرق ، العدد ١٢ ، الجزء الخامس (٣٥٣) ، النصرانيه (١/٣٤) .
٢ W. Smith, A Dictionary of the Bible, II, p. 84.
٣ النصرانيه (١/١٠٥ وما بعدها) .

(اقنومين) : أقنوم الانسان يسوع ، وأقنوم الله الكلمة ، وذكر ان مريم هي بشر ولدت بشراً هو المسيح الذي هو إلـه من ناحية الأب الإلـه فقط[1] .

وتستند تعـاليم نسطور وآراؤه الى الجدل الذي أثاره من تقدمه من الآباء في موضوع طبيعة المسيح ، والانشقاق الذي حدث نتيجة لهـذا الجدل . وأكثر من أثر فيه وكوّن له رأياً في المسيح هو (ديودورس) Diodorus أسقف (طرسوس) Tarsus و (ثيودور المصيصي) (٣٩٣ – ٤٢٨ م) تلميذ (ديودورس) . وفي انطاكية وقف (نسطور) على آراء هذين العالمين ، وكان قد ترهب وسكن هذه المدينة في عام (٤٢٨ م) وتحمس لها وبشر بها بين الناس ، فأثار عليـه غضب رجال الكنيسة المعارضين لتلك الآراء ، فصاروا ينددون به . وبما يقولـه ويبشر به ، وعدّوه ملحداً خارجاً على تعاليم الكنيسة الصحيحة وعلى مبادىء الدين القويم .

ولنشاط (نسطور) في بث هذه الأفكار وعدم تراجعه عنها ، طلب اليـه المثول أمام مجلس اجتمع فيه كبار رجال الدين لمحاكمته عرف بـ (مجمع أفسوس) انعقد في عيد العنصرة من عام (٤٣١ م)،وبعد محاكمات ومناظرات قرر المجتمعون الحكم بهرطقة هذه الآراء ومخالفتها للمبادىء العامة التي تدين بها الكنيسة ، وبذلك كان الحكم عـلى نسطور وأتباعه بالضلال والإلحاد وبعزله من أسقفية القسطنطنية حكماً رسمياً . ومعنى ذلك مقاومة القائلين بهذه الآراء واضطهادهم والتضييق عليهم في حكومة لها كنيسة خاصة ترى أنها على الحق وأن ما دونها على عمى وضلال .

وكانت(الرها) Edessa أهم مركز ثقافي للنساطرة ، ومن أهم معاقل الأدب السرياني . أمّها كثير من طلبـة العلم السريان للتثقف بها ، ولا سيما في عهـد الأسقف (ايباس) Ibas (٤٣٦ – ٤٥٧ م) الذي انتخب أسقفاً لهذه المدينة بعد وفاة أسقفها (ربولا) Rabbula في عام (٤٣٦ م) . ثم نالت (نصيبين) Nisibis مكانة كبيرة في النسطوريـة ، خاصة بعـد وفاة ايباس ، وانتخاب

---

١ المشرق : السنة ١٩٣١ (٦١٥) ، « لا يدع أحد مريم أم الله لانها كانت امرأة ، ومن المستحيل أن يولد الله من امرأة » ، علوم اليونان وسـبل انتقالها الى العرب ، أوليري ، تعريب الدكتور وهيب كامل (ص ٢٥٤) ، شرح الاصول الخمسة ، لقاضي القضاة ، عبد الجبار بن أحمد ، « تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمـان » ، القاهرة ١٩٦٥ ، (ص ٢٩٢ ، ٣٩٥ وما بعدها) .

(نونوس) Nounus أسقفاً للمدينة ، وكان هذا متأثراً بالآراء البيزنطية كارهاً للنسطورية ، لذلك رأى النساطرة الانتقال عن (الرها) الى أماكن أخرى لا أثر لنفوذ هذا الأسقف عليها ، فكانت (نصيبين) الموقع المختار من بين هذه الأماكن، ونالت الحظوة عند رجالهم ، واحتلت مكانة (الرها) في العلم[1] .

ولكن الأسقف (نونوس) كان أسقفاً واحداً من عدد عديد من رجال الدين الرسميين الذين يمثلون كنيسة الروم ، الكنيسة التي حكمت حكماً رسمياً بهرطقة (نسطور) ، لذلك كان على النسطورية مواجهة الاضطهاد والمقاومة في أي مكان من الأماكن الخاضعة للروم ، أو التابعة لكنيستهم ، وللكنائس المعارضة لآراء نسطور . لذلك فكر النساطرة في حمل آرائهم ومعتقداتهم الى بلد أملوا ان يتمتعوا فيه بحريتهم في ممارسة شعائرهم الدينية ، لمعارضته للانبراطورية البيزنطية وتشجيعه كل حركة مناوئة لها ، ثم لأن له حكومة ذات دين آخر بعيد عن النصرانية ، فهي اذن لا تتدخل في أمور المذاهب النصرانية إلا إذا كانت مشايعة للروم ، وليست النسطورية من هذه المذاهب .

وقد أظهر (الشاهنشاه) ملك الملوك ، استعداده لحماية النساطرة ومنحهم الحرية الدينية وحرية التبشير بمذهبهم بين رعاياه ، كما أظهر رغبته في الاستفادة من علمهم ودرايتهم ، فاختارهم للأعمال التي لم يكن فيها متخصصون من أتباعه ، وسمح لهم بالتدريس وبتهذيب الناس وبتعليمهم الفلسفة اليونانية ، ولا سيما فلسفة أرسطو والطب،وغدت (سلوقية) Seleucia على نهر دجلة قبالة العاصمة (طيسفون) مركزاً ثقافياً خطيراً ينافس (الرها) و (نصيبين) ، وصار هذا المركز من أهم معاقل النسطورية والتبشير في العراق وفي سائر أنحاء انبراطورية الفرس .

ومن هؤلاء النساطرة تعلم عرب بلاد العراق وعلى رأسهم أهل الحيرة النسطورية، ومن أهل الحيرة انتقلت الى جزيرة العرب . ولما كانت السريانية هي اللغة الرسمية لهذه الكنيسة ، صارت هذه اللغة بهذه الصفة لغة نصارى العرب ، بها يرتلون صلواتهم في الكنيسة وبها يكتبون ، وإن كانت بعيدة عنهم غير مفهومة لدى

---

١ أدي شير (٢/١٣٠) ، المسرق ، ١٩١٠ م (ص ٣٩٠) ،
Socrates Scholasticus, Hist. Eccl., VII, 29-35, O'leary, p. 133, Ency. Relig. Ethi., p. 323.

الأكثرية منهم . لقد كانت على كل حال لغة رجال الدين . وجلّهم من رجال العلم في ذلك الزمن . فهي عندهم لغة للدين وللعلم ، كما كانت اللاتينية لغة للدين والعلم عند الرومان ، والإغريقية لغة للدين والعلم عنـد اليونان ، والعربية عند المسلمين .

وأنا حين أقول ان النسطورية كانت قد وجدت لها سبيلاً الى أهل الحيرة ، فدخلت بينهم ، فأنا لا أقصد بقولي هذا ان أهل الحيرة كانوا جميعاً على هذا المذهب ، أو انهم كانوا كلهم نصارى . فقد كان جلّ أهل الحيرة على دين أكثر ملوكهم ، أي على الوثنية ، أما الذين اعتنقوا النصرانية ، فهم العباديون ، وبينهم قوم كانوا على مذهب القائلين بالطبيعة الواحـدة ، أي مذهب اليعاقبة ، وبينهم من كان على مذهب آخر .

وقد تسربت النسطورية الى العربية الشرقية من العراق وايران ، فـدخلت الى (قطر) والى جزر البحرين وعمان واليمامة ومواضع أخرى . وورد في أسماء من حضر المجامع النسطورية اسم اسقف يدعى (اسحاق) اشترك في مجمع النساطرة الذي عقد سنة ٥٧٦ م ، كما ذكر اسم أسقف آخر يدعى (قـوسي) اشترك في مجمع سنة ٦٧٦ م . وقد كانا أسقفين على (هجر)[1] . كذلك وردت أسماء أساقفة من النساطرة تولّوا رعاية شؤون أبنـاء طائفتهم في جزيرة (دارين) وفي جزيرة (سماهيج) وفي مواضع أخرى من الخليج ، تولى بعضهم أعمـاله قبيل الإسلام وعند ظهوره ، وتولى بعضهم رعاية شؤون أتباعه في أوائل عهد الإسلام[2] .

ومن الحيرة انتقلت النسطورية الى اليمامة فالأفلاج فوادي الـدواسر الى نجران واليمن ، وصلت اليها بالتبشير وبواسطة القوافل التجارية ، فقد كانت بين اليمن والحيرة علاقات تجارية وثيقـة ، وكانت القوافل التجارية تسلك جملة طرق في تنمية هذه العلاقات وتوثيقها . وقد قوي هذا المذهب ولا شك بعد دخول الفرس الى اليمن ، لما عرف من موقف رجاله من كنيسة الروم ، ولما كان لأصحابـه من نفوذ في بلاط (الشاهنشاه) ومن صداقته لهم[3] .

---

١ النصرانية (٧١) .
٢ النصرانية (٧١) .
٣ النصرانية (١/٥٩ وما بعدها) ،
Assemani, Bibl. Orient , 3, 603, Philiby, Arabian Highlands, p. 261.

وتعزو التواريخ النسطورية انتشار النصرانية في نجران الى رجل اسمه (حسّان) أو (حنّان) أو (حيّان) ، ذكرت أنه ذهب في أيام (يزدجرد) (٣٩٩ – ٤٢٠ م) الى القسطنطنية للاتجار . فلما أنجز ما ذهب اليه ، عاد الى وطنه سالكاً اليه طريق (الحيرة) ، وهناك اتصل بنصاراها ، ودخل في النصرانية التي استهوته، فلما بلغ نجران مدينته ، نشط فيها بنشر الدعوة بين الناس حتى دخل فيها كثير منها ومن بقية حمير[1] .

وقد ورد ان البطريق (تيموثيوس) Timotheos الأول (٧٨٠ – ٨٢٣ م) كان قد نصّب أسقفاً نسطورياً على اليمن[2]. وقد سعى الفرس لنشر مذهب النساطرة بين أهل نجران ، كما سعوا في تقوية الصلات بين الحيرة ونجران . واذا علمنا ان الفرس أنفسهم لم يكونوا على دين المسيح ، عرفنا الأهداف السياسية البعيدة التي كانوا يبتغونها من هذا التقارب ومن نشر المذهب النسطوري في اليمن .

وقد بقيت النسطورية قائمة في اليمن في ايام الاسلام ، ففي الأخبار الكنسية ان رئيس البطارقة النساطرة (طيموثاوس) ، نصّب في أواخر القرن الثامن للميلاد أسقفاً لنجران وصنعاء ، اسمه (مار بطرس) . وان أساقفة من النساطرة كانوا في مواضع متعددة من اليمن وفي عدن ، وذلك في القرن الثالث عشر للميلاد[3] .

أما اليعاقبة ، فقد انتشر مذهبهم بين عرب بلاد الشأم والبادية ، وقد اصطدم هذا المذهب بالكنيسة الرسمية للبيزنطيين ، واعتبرته من المذاهب المنشقة الباطلة ، لذلك حاربته الحكومة ، وقاومت رجاله . كما عارضه النساطرة ، لاختلافه معهم في القول بطبيعة المسيح ، وفي أمور أخرى ، وهذا ما حمل النساطرة على الحكم بهرطقة اليعاقبة ، كما حمل هذا الاختلاف اليعاقبة على الحكم بهرطقة النساطرة ، حتى صار اختلاف الرأي هذا سبباً في وقوع معارك كلامية وجدل طويل عريض بين رجال المذهبين[4] .

واليعاقبة Jacobite church ، ويدعون بـ (المنوفسيتين) = Monophysite Monophystte أيضاً ، أي القائلين بالطبيعة الواحدة ، لقولهم إن للمسيح طبيعة

---

١ E. Sachau, S. 68, Chro. Seert., I, II, p. 330, Nallino, Raccolta, III, p. 123.

٢ O'leary, p. 141, Sachau, S. 68. f.

٣ النصرانية (١/٦٧) .

٤ شرح الاصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار بن أحمد (ص ٢٩٢ وما بعدها) .

واحدة وأقنوماً واحداً ، فقيل لهم من أجل ذلك (أصحاب الطبيعة الواحدة) ، هم مذهب من مـذاهب الكنيسة الشرقية ، نسبوا الى (يعقـوب البرادعي) Jacabus Baradaeus ويسمى بـ (جيمس) James أيضاً ، المولود في حوالى سنة (٥٠٠) للميلاد في مدينة (الأجمة) Tela = Tella من أعمال (نصيبين) في شرقي (الرها) Edessa والمتوفى سنة ٥٧٨ للميلاد . ولد في أسرة كهنوتية، وتتلمذ لـ (ساويرس) الذي صار رئيساً على بطريركية أنطاكية في عـام ٥١٤ للميلاد . ثم اضطر الى مغـادرة انطاكية الى مصر لاختلافه مع رجال الدين في هذه المدينة في طبيعة المسيح ، إذ كان يقول بوجود طبيعة واحدة فيه ، ومنـه أخذ يعقوب رأيه هذا في المسيح .

وذهب (يعقوب) في حوالى سنة ٥٢٨ للميلاد الى القسطنطنية ، لحمل القيصرة (ثيودورة) Theodora على التأثير في الكنيسة وحملهـا على الكف عن اضطهاد القائلين برأيه في طبيعة المسيح . وقد مكث في القسطنطنية خمسة عشر عاماً ، وسعى سعياً حثيثاً في نشر مذهبه والتبشير به ، وهذا ما أوقعه في نزاع مع بقيـة رجال الدين هناك لخروجه على تعاليم المجمع الخلقيدوني الذي عين التعاليم الثابتة في طبيعة المسيح .

وكان (يعقوب) أسقفاً على (الرها) Edessa في حوالى سنة (٥٤١ م) . وكان (الحارث بن جبلة) من المقدرين له ، والمحبوبين عنـده ، لذلك كان ممن توسطوا لدى بلاط (القسطنطنية) للسماح له بالخروج منها ، وللتوفيق بين آرائه وآراء الكنيسة البيزنطية ، كما توسط (المنذر) لدى البيزنطيين للغرض نفسه[1] .

وكان من جملة تلاميذ (يعقوب) والمبشرين بتعاليمه (أحودمة) (أحودمى) الذي اغتيل بأمر كسرى أنو شروان في ٢ آب من سنـة ٥٧٥ م . وكان من المبشرين النشيطين ، ذهب الى بني تغلب وبثّر بينهم ، وقد عرف هؤلاء عند السريانيين بالأعراب سكنة الخيام ، وأقام بينهم كهاناً ورهباناً ، وبنى لهم ديراً عرف في السريانية بـ (عين قنا) أي (عين الوكر) وديراً آخر بتكريت سمي (دير جلتاني) . وكانت في ايامه أسقفيتان على العرب : أسقفية عرفت بأسقفية

---

١ W Smith, A Dictionary of the Bible, II, p. 328, Devreesse, Patr. d'Antioche, 75, 88, 96, Bury, Later Roman Empire., II, 391.

العرب ، وأسقفية التغلبيين أو (السن) وكرسيها بـ (عاقولا) (عاقول) . وعاقولا هي موضع الكوفة . أما كرسي أسقفية العرب ، فكان في الحيرة [1] .

كذلك كان من تلاميـــذه (جيورجيوس) (جرجيس) و (غريغور) ، وقد تمكنا بنشاطها وتبشيرهما من نشر هذا المذهب في بلاد الشأم وبين الأقباط والأرمن [2] .

وقد بذل (شمعون الأرشامي) Shem'on of Beth Arsham و (مراثا) Muratha جهداً كبيراً في نشر هذا المذهب بين أهل العراق، وصارت (تكريت) القاعدة الكبرى للمذهب اليعقوبي في العراق . بقيت محافظة على هذا المركز في الاسلام [3] .

وقد دخل أكثر الغساسنة في هذا المذهب ، وتعصبوا له ، وطالما توسطوا لدى الروم في سبيل حملهم على الكف عن اضطهادهم والتنكيل بهم . ظلوا مخلصين لهذا المذهب إلى ظهور الاسلام . وقد نعت بعض ملوكهم بنعوت تدل على تنصرهم وتدينهم ، مثل : المحبين للمسيح والمؤمنين . وقد وردت في بعض المخطوطات اشارة إلى كاهـن نعت بـ (كاهن ذي العزة والمحب للمسيح البطريق المنذر بن الحارث) ، كما أنعم القياصرة على بعض ملوك الغساسنة بألقاب لا تمنح في العادة إلا لمن كان على دين النصرانية [4] .

وتذكر تواريخ اليعاقبة قصصاً عن بعض هؤلاء الملوك يشير الى ذكائهم وتمسكهم في قواعد هذا المذهب وتعلقهم به ، ودفاعهم عنه ، وافحامهم بذكائهم وبعلمهم أيضاً لخصوم هذا المذهب من أصحاب المذاهب الأخرى ممن أرادوا اقناعهم بالخروج

---

١ ذخيرة الاذهان (١/٣٠٣) .

٢ وللقائلين بالطبيعة الواحدة جملة أسماء ، منها المنوفيستيون والاوطاخيون ، نسبة الى أوطاخي من القائلين بالطبيعة الواحدة ، والديوسقوريين . راجع : آدى شير : تاريخ كلدو وآشور (٢/١٣٢) ، ذخيرة الاذهان (١/٢٠٨) ، النصرانيـــه (١/٣٨ وما بعدها) ، المشرق ، السنة الاولى ، الجزء السادس (٢٤٩) ، خلاصه تاريخ الكنيسة (١/٢٨٨ وما بعدها) ،
Ency. Relig. and Ethics, XII, p. 172, Ency. Brita., 12, p. 860, Burkitt, early Lastern Christianity, 1904.

٣ Araber, I, S. 10

٤ ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان ، تاليف الفس بطرس نصري الكلداني (١/١٣٢) ، النصرانية (١/٣٦) ،
O'leary, p. 192.

من المذهب اليعقوبي ونبذه ، مع ميلهم الى التوفيق بين المذاهب ومنع الفرقة بين النصارى ، كالذي ذكروه من مناظرة وقعت بين البطريرك (البطريق) افرام (٥٢٦ – ٥٤٥ م) ، وهو من بطاركة الملكيين والحارث بن جبلة ملك الغساسنة وهو على اليعقوبية ، وقد أفحم فيها الملك الحارث خصمه على ما يدعيه اليعاقبة بذكائه وبقوة بديهته وحجته،وكالذي رووه عن تعنيف المنذر بن الحارث للبطريرك (دوميان) في أثناء زيارته للقسطنطنية ، لتهجمه على اليعاقبة واثارته بهذا الهجوم الفرقة بين النصارى ، وطلبه منه الاتفاق مع (فولا) بطريرك اليعاقبة على التآخي وتوحيد المساعي ، وكالذي ذكروه عن هذا المنذر أيضاً من كتابته الى القيصر (طيباريوس) للتدخل في حمل البطريرك والأساقفة على ايقاف حملاتهم على اليعاقبة ، ولكي يسعى في اطلاق الحرية لجميع النصارى ، وأن يصلي كل واحد منهم أينما شاء وحيثما شاء [1] .

وكان لليعاقبة مشهد مقدس يحجون اليه للتبرك به والنذر له ، هو مشهد القديس (سرجيوس) (سرجيس) في مدينة (سرجيوبوليس) Sergiopolis ، وهي الرصافة . وكان عرب بلاد الشأم اليعاقبة يتيمنون به ، ويضعون صورته مع الصليب على راياتهم أملاً في الفوز في المعارك . والى هذا القديس أشار الشاعر الأخطل بقوله :

لما رأونا والصليب طالعاً ومار سرجيس وموتاً ناقعا
وأبصروا راياتنا لوامعاً خلّوا لنا راذان والمزارعا [2]

مما يدل على أن شهرة هذا القديس ظلت بين النصارى حتى في أيام الاسلام . وطالما قصد الأعراب كنيسة هذا القديس لتعميد أبنائهم هناك . وقد كانوا يعقدون العقود عند قبره،ويقسمون الايمان عنده ، دلالة على التشديد فيها وصدقهم في الوفاء . وكان أمراء الغساسنة يبالغون في تعظيمه والاحتفاء به ، ويقصدونه للتبرك به ، على عكس نصارى الحيرة الذين امتهنوا القبر في حروبهم مع الغساسنة ، واعتدوا على المدينة . وقد كان نصارى الحيرة على مذهب (نسطور) في الأغلب ،

---

١ المسرق ، السنة الرابعة والثلاثون (١٩٣٦) (٦١ وما بعدها) .
٢ ديوان الاخطل (٣٠٩) ، المشرق ، السنة الرابعة والثلاثون ، (١٩٣٦) ، كانون الثاني ، ٢ (٢٤٧) ، النصرانية (٩٩/١) .

كما كانوا من الوثنيين ، ولذلك لم تكن لسرجيوس في نفوسهم منزلة ومكانة .

وقد أشار المؤرخ (يوسبيوس القيصري) (أويسبيوس) ، الى رأي كان عند بعض نصارى العرب ، خالفوا بـــه مذهب الكنيسة إذ قال : « ونحو هذا الوقت قام آخرون في بلاد العرب منادين بتعليم غريب عن الحق . إذ قالوا إن النفس البشرية في الوقت الحاضر تموت وتبيد مـــع الجسد . ولكنهما يتجددان معاً يوم وقت القيامة »[1] . وليس في هذا الكـــلام كما نرى ، أية اشارة الى أولئك النصارى العرب ، ولا الى مواضع سكنهم . وكل ما يفهم منه ان خلافهم وقع في زمن قريب من زمنه ، وانه كان في موضوع الروح .

وقد جودل القائلون بهذا الرأي ، ونوقشوا في مجمع انعقد سنة (٢٤٦ م)، عرف بـ (مجمع العربية) Council of Arabia [2] .

وقد كان لـ (بولس السميساطي) Paul of Samosata ، رأي في المسيح، حتى قيل انه رأى نفسه في منزلة المسيح ، وقد حكمت الكنيسة عليه بالهرطقة ، وحرمته ، وأعلنت خلعه عن أسقفية (أنطاكية) ، وكان من المقربين الى الملكة (الزبّاء) ، لهذا لم تنفذ ما جاء في حكم الكنيسة عليه[3] .

وذكر أهل الأخبار أن من بين فرق النصرانية ، أو الفرق التي هي بين بين: بين النصرانية والصابئة دين يقـــال له (الركوسية) ، وذكروا أن الرسول قال لحاتم الطائي : إنك من أهل دين يقال لهم الركوسية[4] . ولكني أشك في صحة هذا الحديث ، إذ كانت وفاة حاتم قبل مبعث الرسول ، ولم يثبت أنه التقى به .

وهناك شيع عقائدها مزيج من اليهودية والنصرانية . وجدت سبيلها في جزيرة العرب ، مثـــل (الابيونيـــين) Ebionites و (النـــاصريين) Zazarenes و (الكسائيين) Elkesaites [5] .

---

١ تاريخ الكنيسة ، ليوسابيوس الفيصري ، ترجمة القس مرقس داوود (ص ٢٩٢ وما بعدها) . Eusebius, 6, 37.

٢ A Religious Encyclopaedia, Vol., I, p. 122.

٣ Runciman, The Mediaeval Maniche, 19. ff.

٤ أسد الغابة (٣٩٢/٣) ، المسرق ، السنة ١٩٠٣ (ص ٥٧٤ ، ٧٧٧ ، ٩٢٨) ، ١٩٠٥ ، (ص ٥٠٤) ، ١٩٠٧ م (ص ١١٢٠) ، ١٩٠٨ م ، (ص ٤٨٠) ، ١٩٣٧ (ص ٧٣ وما بعدها) ، اللسان (٤٠٥/٧) ، تاج العروس (١٦٣/٤) ، (ركس)

٥ النصرانية (١١١/١ وما بعدها) .

أما (الأبيونيون) Ebionites ، فجماعة من قدماء اليهود المتنصرين عرفوا بهذه التسمية العبرانية الأصل التي تعني (الفقراء) ، لا يعرف عن كيفية ظهورهم ونشوء عقيدتهم على وجه صحيح أكيد . وكل ما يمكن أن يقال عن معتقداتها إنها مزيج من اليهودية والنصرانية ، وإنها نصرانية بنيت على أسس ودعائم يهودية، فهي نصرانية يهودية في وقت واحد .

وقد ذهب بعض قدماء المؤرخين الى انهم انما دعوا بهذه التسمية نسبة الى مؤسس هذا المذهب المسمى (ابيون) Ebion . غير ان من الصعب اثبات صحة هذا الرأي . وهم يعتقدون بوجود الله الواحد خالق الكون ، وينكرون رأي (بولس) الرسول في المسيح ، ويحافظون على حرمة يوم السبت Sabbath وحرمة يوم الرب . وقد ذهب بعض قدماء من تحدث عنهم الى انهم فرقتان بالقياس الى مولد الابن المسيح من الأم العذراء[1] . ويعتقد أكثرهم ان المسيح بشر مثلنا، امتاز على غيره بالنبوة ، وبأنه رسول الله ، أرسله الى الناس أجمعين . فهو رسوله ولسانه الناطق برسالته للعالمين . وهو نبي كبقية من سبقه من الأنبياء المرسلين . وقد آمن بعض منهم بعقيدة (العذراء) وولادتها للمسيح من غير اتصال ببشر ، غير ان بعضاً آخر منهم ، آمن بأن المسيح ابن مريم من (يوسف) فهو بشر تماماً ، وأنكر الصلب المعروف ، وذهب الى ان من صلب ، كان غير المسيح، وقد شبّه على من صلبه ، فظن انه المسيح حقاً . ورجعوا الى انجيل متى بالعبرانية (The Gospel of Mathew) وأنكروا رسالة (باولس) Paul على النحو المعروف عند بقية النصارى[2] .

وأما (الناصريين) (Nazarenes) ، فهم فرقة معارفنا عن أصلها وعن كيفية ظهورها قليلة كذلك . وأكثر ما نعرفه عنها مستمد مما كتبه عنها (أفيفانيوس) (Epiphanius) و (جيروم) (Jerome) . وقد أدخلهم (أفيفانيوس) في جملة (الهراطقة) (Heratics) ، وذكر انهم كانوا يقرأون النسخة العبرانية لانجيل متى ، the Gospel of Mathew وانهم ظهروا في غور الأردن .

وقد اعترفوا بألوهية المسيح (ابن الله) ، قائلين انه ولد من العذراء مريم،

---

١ Ency. Brita., Vol., 7, p. 881, (Ebionites), Hastings, Ency. Reli. Ethic., 3, p. 574.

٢ Kenneth Scott Latourette, A History of Christianity, p. 122.

واعترفوا برسالة القديس (بولس) ؛ كما حافظوا على ناموس موسى (Mosaic Law) (شريعة موسى) ، وهم يرون ان ميلاد المسيح شيء خارق للعادة ، وانه (المولود الأول من الروح القدس)[1] ، وان تعاليمه ، هي متممة للرسالات السابقة ومكملة لها . وقد راعوا حرمة السبت ، وما يختص بالأكل وبالختان[2] .

وأما (الكسائيون) (Elkesaites) ، ففرقة يظهر أنها ظهرت في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني للميلاد في وادي الأردن ، ومعناها اللغوي (القوى الخفية) ، في لغة بني إرم ، و (المتخفون) ، أو المتسترون تحت الكساء في لغتنا . وقد نبعت من اليهودية . وهي تنسب الى رجل اسمه (Elkesai) (الكسائي) صاحب كتاب نسب اليه ، ويحافظ الكسائيون على الختان وعلى حرمة السبت وعلى سائر أحكام الشريعة الموسوية ، وينسب اليه أنه كان يرى تحريم أكل اللحوم . والظاهر أن ذلك من وضع المستخفين بتعاليمه . وإنما كان يحرم أكل ذبائح الوثنيين وما أهلّ للأوثان . وقد حتم على أتباعه التوجه الى بيت المقدس في صلواتهم ، ومنع التوجه الى الشرق . وهو يعتقد بوجود إلـه واحد ، وباليوم الآخر ، وبملائكته. ويرى أن الشياطين هي النجوم الكائنة في المناطق الشمالية من السماء[3] .

ومن أهم تعاليم (الكسائيين) الإغتسال ،أو ما يقال له (التعميد) (Babtism) وذلك بالاغتسال في النهر أو في البئر لغسل الأدران من الأجسام وتطهيرها . ويسمي المغتسلُ (باسم الله العلي العظيم) (بسم الله الرحمن الرحيم) ، ويستعمل الغسل في الشفاء من الآفات كذلك ، مثل عض الكلب المكلوب أو الحيوانات المؤذية واخراج الأرواح الشريرة من الجسم . ولذلك يمكن تسمية هذه الفرقة بالمغتسلة ، لجعلها الغسل من أهم أركان الدين .

وللخبز والملح أهمية خاصة لدى أصحاب هذا المذهب ، فهما بمثابة العهد عندهم. وهم في ذلك على شاكلة يهود ، حيث يتمثل العهد (Convenant) عندهم بالملح والخبز[4] . ويقسمون بهما الايمان . وللأيمان عندهم قدسية كبيرة ، فلا يجوز لأي

---

١ Hastings, Ency. Relig. Eathi., 5, p. 141, Ency. Brit., 16, p. 178.

٢ History of Christianity, by, Latoure, p. 121.

٣ Hastings, 5, p. 263.

٤ اللاويون ، الاصحاح الثاني ، الاية ١٣ ، العدد ، الاصحاح التامن عشر ، الاية ١٢ ، أخبار الايام الثاني ، الاصحاح ١٣ ، الاية ٦ .

إنسان كان أن يحنث بيمينه ، وأن يخالف ما أقسم عليه ، وإلا كان عقابه عند الله عظيماً .

والعرب مـــن الذين يقيمون للقسم بالخبز والملح وزناً عظيماً عندهم . فكانوا يحلفون بهما كما يحلفون بالله وبأصنامهم . ولا يجوز الحلف كذباً بهما . ولا زال الناس يقسمون بالخبز والملح قسمهم بالمقدسات .

وقريب من مذهب (الكسائيين) في الاغتسال ما يذهب اليه الصابئون فيه . فللغسل لتطهير الجسم من الآثام الظاهرة والباطنة ومن الأرواح الشريرة مقام كبير عند الصابئة ، ولهذا نراهم يختارون السكنى عند الآبار والأنهار .

ووجدت فرقة عرفت بـ (الفطائريين) (Collyridiens) بالغ أصحابهـا في عبادة مريم وفي تأليهها ، وكانوا يقدمون لها نوعـاً من القرابين أخصها أقراص العجين والفطائر ، لذلك عرفـوا بالفطائريين . وقد ذكرهم (أفيفانيوس) في كتاب الهرطقات[1] .

وعلى عكس هؤلاء كان من دعـوا بـ (Antidicomariantes) ، وهم الذين أنكروا على مريم دوامها في التبتل ، فسمّوا لذلك بالمعادين لمريم[2] .

وذكر أن فرعاً كـــان من الأريوسية ، أي من أتباع (أريوس) ، كان معروفاً بين العرب أطلق عليهم القديس (ايلاريوس) اسم (أقاقين) نسبة الى (أقاقيوس) . كانوا يقولون إن المسيح ليس هو ابن الله ، لأن من قـال ذلك جعل لله زوجة[3] .

وقد تحدث أهـــل الأخبار عن قوم قالوا لهم (الأريسيون) . ذكروا أنهم « فلاحو السواد الذين لا كتاب لهم . وقيل الاريسيون : قـــوم من المجوس ، لا يعبدون النار ، ويزعمون أنهم عـــلى دين ابراهيم ... وقيل إنهم أتباع عبدالله ابن أريس رجـــل كان في الزمان الأول قتلوا نبياً بعثـه الله اليهم » ، « وقال بعضهم في رهط هرقل فرقة تعرف بالأروسية »[4] .

---

١ النصرانية (١/١١٣) .
٢ النصرانية (١/١١٣) .
٣ النصرانية (١/١١٣) .
٤ تاج العروس (٤/٩٦) ، (ارس) .